مدخل إلى الأدب المقارن -سنة ثانية ليسانس-.....(د.حميدة سليوة)

المحاضرة رقم 8:

رحلة الآداب

يهتم الأدب المقارن بمواطن التلاقي بين الآداب المختلفة، وسبل التأثير والتواصل الأدبي ومظاهره، ومن ذلك ارتحال الأدب القومي من موطنه الأول إلى أوطان وثقافات ولغات جديدة وهذا ما يسمى برحلة الآداب أو هجرة النصوص وسفرها، متجاوزة حدود السياسية واللغة والجغرافيا والثقافة، لهذا فرحلة الأدب واحدة من أهم إشكالات الدراسة الأدبية المقارنة، وتحكم في حركة الآداب مجموعة من العوامل:

1-الكتب:

هي وسيط مهم في نقل الأدب من موطنه الأصلي إلى آداب ولغات مختلفة، وقد اهتم الباحث المقارن برصد حركة الكتب والمؤلفات لما لها من أهمية في إثبات الصلة الفكرية بين مختلف الآداب:« **تلقي ضوء قويا أو ضعيفا على علاقات بلد ما، بمؤلف أو بمجتمع أو بإنتاج أدبي في بلد آخر**»[1] ألم يكن للمقامات العربية أثر في الثقافة الفارسية وكذلك الشأن مع كتب ابن المقفع كتاب الأدب الصغير والأدب الكبير وأثرهما في الثقافة العربية، ورسالة الغفران وأثرها في الثقافة الغربية، وأشهر مثال هو كتاب ألف ليلة وليلة وأثره في مختلف الآداب التي ارتحل إليها، ومن الكتب المهمة في رحلة الأدب كتاب **كليلة ودمنة** عند ترجمته إلى العربية والذي عالج فيه صاحبه:« **مجالس الحكم وأصوات النفاق وعواقب الظلمة وتجميع قوى الضعفاء مشابه لعالم الإنسان**»[2]، وهذا الكتاب في رحلته إلى العرب عرفهم بجنس القصة على لسان الحيوان، ثم ارتحل إلى بلدان عديدة حتى عرفته الثقافة الفرنسية مع لافونتان.

2-المؤلفون:

للكتاب والأدباء دور كبير في المبادلات الأدبية، فقد يمثل الأديب واسطة تواصل بين أدبين وثقافتين مهما اختلفتا، فهو يمثل صلة بلده بالبلدان الأخرى تأثيرا وتأثرا، من ذلك ابن المقفع بين الثقافتين العربية والفارسية، أو فولتير بين الأدب الانجليزي والفرنسي. وألكسندر دوما وغيرهم، وعند العرب ورفاعة الطهطاوي عند زيارته لفرنسا وتسجيله لتفاصيل رحلته، وملاحظاته عن الحياة والثقافة في فرنسا ونقلها إلى أدبه العربي، ومن ذلك أيضا توفيق الحكيم في "عصفور من الشرق"

وابن المقفع واحد من أهم الشخصيات التي جسدت ظاهرة الوسيط بين الأدبين، لأنه « **التقاء خصب من بعض الزوايا وحادا من بعضها الآخر بين لغتين وحضارتين وعقيدتين**»[3]، وهو بهذا قرب الثقافتين والأدبين- العربي والفارسي- وسهل قنوات الاتصال بينهما، وصاحب الخلفاء والسلاطين، وأصبحت كتاباته متوسطة بين اللغتين كما هي رسالة الصحابة.

1-المحمودي(رامي فواز أحمد): النقد الحديث والأدب المقارن، دار الحامد عمان الأردن ط 1، 2008، ص 121.

2- درويش(أحمد): نظرية الأدب المقارن وتجلياتها في الأدب العربي، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة2002 ، ص 89.

3 - المرجع نفسه، ص 82

3-الترجمة:

تلعب الترجمة دورا مهما في تواصل الآداب، ونقل الأفكار ورحلة الآداب، من خلالها يستقبل الشعب المعلومات والأفكار الأجنبية، والوسائل والأشكال الفنية، وهذا ما ينعكس ايجابا على أدبه، وفق حركية التأثير والتأثر، لهذا يوليها الأدب المقارن، فيقف عند دور الترجمة في نقل التأثير، والأفكار من البيئة الأولى التي أنتجتها إلى الثقافة المستقبلة، وعند نجاح الترجمة أو عدمه في نقل النصوص من بيئة إلى أخرى، ويشهد التاريخ على الدور الريادي للترجمة في رحلة الآداب كما هي في عصر النهضة العربي الذي عرف حركة واسعة لترجمة الآثار الأدبية المختلفة إلى اللغة العربية.

من ذلك ما قام به فولتير الذي أقام في انجلترا وقام بترجمة أعمال وليام شكبير ونقلها إلى اللغة الفرنسية قد كان للترجمة الدور الأهم في رحلة كتاب مثل ألف ليلة وليلة منذ أن ترجمه"أنطوان جالون"في أوائل القرن الثامن عشر، ومنذ ذاك:« **كتابا تتخطفه القلوب والعيون يبقى على مدى ثلاثة قرون حتى الآن واحدا من أشهر ما في المكتبة الأوروبية وأكثرها تناولا بالقراءة والدراسة والتحليل والتقليد والتأثير في مجالات كثيرة تتجاوز الأدب إلى الفن عامة**»[1]، وبذا كان المترجم أنطوان جالون أول من سافر بالكتاب بعيدا عن وطنه

4-النوادي الأدبية:

ومن ذلك المؤتمرات واللقاءات الأدبية، وللصالونات الأدبية دور في نقل النصوص وتعريفها في ثقافات مختلفة عرفت الصالونات الأدبية أول مرة في فرنسا خلال القرن السابع عشر، واستمرت إلى القرن الذي يليه، فقد كانت واحدة من أهم مكونات المجتمع الثقافية آنذاك، وموضة رائجة ميزت عصر التنوير، جسدت روح عصرها الموسوعية بجمعها بين تخصصات عدة خاصة الأدب والفلسفة والفن، امتدت الصالونات الأدبية كثقافة لتشمل كامل أوروبا كصالون مارزين في لندن، ومنها كذلك صالون ليدي هولاند وصالون مدام نوردان فليلشت في ستوكهولم في السويد وصالون الإخوة فري في إيطاليا، ونادي الانترسول الانجليزي، محكمة الذوقة ساكو La cour de sceaux،صالون مدام لمبير M^me^ Lambert وصالون مدام دي دوفانM^m^ Du Deffand: فالصالون الأدبي بسبب تنوع مشارب رواده يساهم في تكامل دروب النقد المختلفة، ناهيك عن صالونات ديدرو التي كانت بالفعل مثالا عن النقد التكاملي للتحف الفنية والأعمال الأدبية. أشهرها: ما كان يقوم به صالون **مدام دستايل** بين عامي 1795 و1821، صالون ميّ زيادة بالقاهرة بداية القرن العشرين.

5-**الهجرات**:

يعمل المهاجرون على تعلم ثقافة البلدان التي يهاجرون إليها وينقلوها إلى لغتهم وأدبهم، من ذلك ما جادت به البعثات العلمية للطلاب العرب إلى الغرب والجماعات الأدبية المتشكلة هناك، وهي جماعات أدبية تشكلت بداية القرن العشرين في أمريكا، حيث نشأ بعد الاحتكاك مع الغرب، أدب مهجري غربي النشأة وعربي اللغة، استطاع من خلاله أمثال جبران خليل جبران وإيليا أبو ماضي وميخائيل نعيمة نسيب عريضة-الرابطة القلمية- ، حبيب مسعود والشاعر القدوي وإلياس فرحات-العصبة الأنداسية، الارتحال بالاتجاه الرومنسي إلى البيئة العربية.

6-الحروب:

1- درويش(أحمد): نظرية الأدب المقارن وتجلياتها في الأدب العربي، ص 182.

الغزو والحروب رغم ما لها من أضرار لكنهما يمدان جسور ثقافية بين دور وآداب متعددة، مثال على ذلك الفتح الإسلامي و الحروب الصليبية وفتح الأندلس، فقد كانت الفتوح الاسلامية واسطة للتعرف على آداب مختلفة، وفي المقابل نقلت خصائص الأدب العربي إلى هذه الشعوب والأقوام، فقد عرف العروض في دور العالم الإسلامي من العروض العربي، وارتحلت موضوعات الشعر العربي معه منها المديح النبوي.

ومن ذلك أنشودة رولاند وهي ملحمة غنائية تتغنى ببطولات موقعة رونسيفو عام 778 ودارت بين المسلمين في الأندلس وجيش شارلمان وكانت:« **أنشودة رولاند، تعد من هذه الزاوية واحدة من أهم الأعمال التي عرفها تاريخ الآداب الأوروبية في العصور الوسطى والحديثة**»[1]، وقد انتشرت وكتبت بلغات أوروبية عديدة منها النرويجية والايطالية والاسبانية.

7- أدب الرحلات:

هو نوع أدبي يكتبه كتاب رحالة، عند زيارتهم لبلدان غير بلدانهم، ويقوم بتصوير ما رآه من مظاهر الحياة والثقافة الأدب، فينقل كتب وأفكار وصور عن تلك البلاد، وكثير ما ساهمت كتابات الرحالين في تشكيل تصورات في ثقافتهم عن شعوب أخرى، ومثال على ذلك ما كتبه المستشرقون في القرن الثامن عشر والتاسع عشر.

1 - درويش(أحمد): نظرية الأدب المقارن وتجلياتها في الأدب العربي، ص 119.